ذكـــرى الخامس من حزيران

ترددنا كثيراً في الكتابة في هذه المناسبة ، لأننا لا نريد أن يكون الحديث في فلسطين وما يتعلق بها ، وفي الخطـــر الذي يتهدد العرب والمسلمين الآن ، حديث مناسبات يرتبط بها ، وينقضي بقضائها ، كما كان يفعل الناس في بلادنا في مناسبة وعد بلفور ، وقرار التقسيم ، وقيام إسرائيل ، وغير ذلك من المناسبات ، حيث ينامون عن القضية بانصرام يوم الذكرى ، ذكرى اللسان ، لا ذكرى القلب والفكر والعبرة والعمل ، ليصحوا بعد ذلك على نكبـــة جديـــدة ، يعودون بعدها إلى النوم ، وإلى تهيئة الأسباب لنكبات أخرى .

إنّ قضية فلسطين والأقصى وبقية أجزاء أرضنا المحتلة هي عندنا قضية عقيدة ومقدسات ووطـــن ، وإن الخطـــر الصهيوني والاستعماري هو عندنا خطر على وجودنا من حيث الأساس ، فلا يجوز أن ننسى هذا الخطـــر ولا هـــذه القضية طرفة عين ، ولا يجوز أن يكون حديثاً عنها حديث مناسبات عابرات ، ولا أن نقف فيها عند حدود الحديث.

يجب أن تكون القضية كلها ماثلة في نفوسنا على الدوام بكل مراحلها ومسارحها ومشاهدها الكبرى وأبعادهـــا المختلفة .

يجب أن يكون لنا معرفتنا الجيدة بالوقائع ، وإدراكنا الواضح للحقائق ، وتقويمنا الصحيح للأحداث ، ورؤيتنـــا البينة للواجبات والوسائل .

إنّ هذا هو الذي يعصمنا أن نضلّ أو نضلّل ، هو الذي يعطينا إمكانات الحكم الصحيح ، والموقـــف الـــصحيح والعمل الصحيح ، الذي ينبغي أن يستمر في سائر الأوقات والأحوال ، ليكون من ورائه النصر .

ومن خلال هذه القضية المصيرية الكبرى ، سنبصر حياتنا كلها بكل ما فيها من سلبيات وإيجابيـــات ، وسنـــضع أيدينا على مفاتيح التحول المنشود والخلاص ، فنكبة الخامس من حزيران وما سبقها من نكبات ، ليست إلاّ ثمرة مرة ومحصلة فاجعة لسنوات طويلة من الفساد والانحراف .

لم تولد النكبات في الأيام التي وقعت فيها النكبات ، ولكنها انكشفت فيها للعيون .

و لم تكن الهزائم في الأيام التي استعلنت فيها الهزائم ، ولكنها انكشفت في هذه الأيام .

وكذلك النصر الإسرائيلي المذهل يوم الخامس من حزيران لم يكن وليد يومه فقد كانت تعدّ خطة الهجوم قبـــل ذلك بوقت طويل .

يقول الجنرال بردخاي هود قائد سلاح الجو الإسرائيلي : {إنّ تخطيط ست عشرة سنة يكمن وراء تلك الدقائق الثمانين الأولى (أي الدقائق التي حصلت فيها الغارات الجوية على مطارات مصر في الخامس من حزيران) لقد عـــشنا خطتنا .. نمنا معها ، أفقنا عليها ، هضمناها ، تمثلناها ، وأدخلنا عليها بالتدريج الإصلاحات المتتالية حـــتى قاربـــت الكمال} .

لم يكن نصرهم وليد يومه ، ولا هزيمتنا وليدة يومها .. وإن كانت أسباب الهزيمة عندنا هي التي أمكنتـــهم مـــن النصر بالدرجة الأولى ، وجعلت لنصرهم هذا الحجم الهائل الذي أذهلنا ، وأذهلهم وأذهل الجميع .

وهذا بعض ما أعدّوه وبذلوه في جانب واحد من جوانب معركتهم المتعددة ، فكيف بمـــا أعـــدّوه وبـــذلوه في الجوانب كلها .. ثم كيف بما قدّموه ويقدّمونه للقضية الأساسية على مدى الزمن المتطاول ، وعلى صعيد الدنيا كلها، وفي كل مجال من المجالات التي تخطر في البال .

❍ ❍ ❍

ولا بأس الآن بعد ما قدّمناه في أن نلقي نظرة سريعة على القضية من خلال نكبة الخامس من حزيران .. ما دمنا لا ننقطع عن التفكير فيها والعمل لها في كل وقت من الأوقات .

إنّ من أول ما يروعنا ونحن نلقي هذه النظرة ، أن كل أسباب النكبة التي كانت قبل الخامس من حزيران ما تزال قائمة بكل بشاعتها وضراوتها بعد خمس سنوات من النكبة الكبيرة التي قلّما شهد تاريخنا مثلها ، والتي تهدد حاضـــرنا ومستقبلنا في العاجل والآجل .

بعد كل ما كتب عن أسباب النكبة في الكتب ، ونشر في المجلات والصحف ، وأذيع في الإذاعات ، وتحدث بـــه المتحدثون ، وخطب به الخطباء ، في الاجتماعات والندوات والمناسبات .

وبعد اعترافات المسؤولين الكبار السرية والعلنية ، بالأخطاء الكبيرة والعلل العميقة ، التي ساقت إلى هذه النتيجة.. واعترافات غيرهم ممّن هم في مكان التوجيه والتأثير الرسمي والشعبي .. بعد هذا كله ما تزال أسباب النكبة قائمة نامية تعمل عملها المدمّر .. حتى الأسباب التي اعترف بها الجميع ، واتفق عليها الجميع ، و لم يكن فيها خلاف .

الكذب والخداع والتضليل

كذب الحكام ، وكذب أجهزة الإعلام ، وكذب المنافقين والمنتفعين ، ما يزال كما كان .

يكذبون على الشعب ، ويخدعونه ، ويضللونه عن الحقائق ، ويتكلمون بكلامين ولسانين ، واحـــد للاســـتهلاك

المحلي ، وآخر لما وراء الحدود .. بدل أن يصارحوا الشعب بالحقائق التي يعرفها كل من في العالم ما عداه ، وبدل أن يتعاونوا معه ، ويصدقوا العمل والجهاد ، لتغيير الواقع المؤذي ، لا لستره عن العيون ، أو إظهاره بغير صورته الحقيقية.

وعزل الشعب عن قضية عقيدته ووجوده ، بل عزله عن كل قضية من قضاياه ، وحكمـــه بالحديـــد والنـــار ، وإخضاعه بالترغيب والترهيب لما يريده الحكام الذين يملكون القوة : (قوة السلاح) كل ذلك ما يزال كما كـــان .. يستوي فيه الحكم الملكي والجمهوري ، واليميني واليساري ، والرجعي والثوري .. لا فرق إلاّ في المظاهر أو الظروف أو الدرجات ..

كل الأشكال الشورية في بلادنا أشكال صورية وواجهات -مهما اختلفت التـــسميات- ولا وجـــود لحقيقـــة الشورى .

والحرية الحقيقية مفقودة في بلادنا ، والأحرار لم يعد لهم في الغالب وجود إلاّ بدعوى اللسان .. أما الأعمـــاق ، ففي الأعماق روح العبيد وخنوع العبيد .

ولا ندري كيف يمكن أن نربح معركة التحرير بلا أحرار ؟ وكيف نحرر الأرض بتعبيد النفوس ؟ .

ولم يكن للعرب قبل النكبة مخطط مشترك أو غير مشترك ، وليس لهم الآن مخطط .

ولم يكن العرب صفاً واحداً ، وليسوا صفاً واحداً الآن ، بل إنّ خلافهم فيما بينهم ، وصدام بعضهم ببعض ليزيد أحياناً (بالواقع الفعلي إن لم يكن بالاعتراف اللفظي) على خلافهم وصدامهم مع إسرائيل .

وكان من حكامنا (وما يزال) من لا يفكر إلاّ في نفسه ، وسلطته ، ومطامعه الشخصية الحقيرة ، على حـــساب أمته وبلاده ، ومصيرها في الحاضر والمستقبل .

ومن حكامنا من ألقى نفسه في أحضان الغرب وربط وجوده به .

ومن حكامنا من ألقى نفسه في أحضان الشرق وربط وجوده به .

ومن حكامنا من أفلت من يده الزمام ، وخضع مضطراً لهذه الجهة أو تلك دون خيار .

ومن حكامنا من يعيش على هامش العصر ، كأنه من أشباح الماضي ، أو من شخوص قصة خيالية عجيبة .

ومن حكامنا من نسي القضية الأصلية ، قضية فلسطين ، وقضية وجودنا المهدد ، وانشغل عنها وشـــغل النـــاس (بالواقع أو بالواقع والكلام جميعاً) بخوض معركة الرأسمالية ضد الشيوعية ، أو الشيوعية ضد الرأسماليـــة ، ومعركـــة

الغرب ضد الشرق ، أو الشرق ضد الغرب ، ومعركة الولايات المتحدة ضد الاتحاد السوفييتي ، أو الاتحاد الـــسوفييتي ضد الولايات المتحدة

كتاركـــــةٍ بيـــــضَها بـــــالعراء ومُلحِفَةٍ بـــيضَ أخـــرى جناحـــا

كما يقول المثل العربي .

والفريقان اللذان يسخراننا ، أو نسخر لهما أنفسنا ، يلعبان -إلى حدٍّ كبير- بنا ، ويتفقان علـــى حـــسابنا ، ولا ينظران إلينا إلاّ في حدود مصالحهما ومخططاتهما ، ولا يباليان بالتضحية بنا وبقـــضايانا إن قـــضت هـــذه المـــصالح والمخططات .. بل إنّ الدولتين الكبريين على الخصوص ، لتستعينان بالبلد العربي للـــضغط علـــى بلـــد عـــربي ، أو لإخضاع بلد عربي .. تستعينان ببعضنا على بعض للهيمنة علينا ، واستغلالنا جميعاً إن أمكن .

وحكامنا الذين ينادون بالوحدة ، لا تجد الوحدة -غالباً- إلاّ في كلماتهم فقط .. لا تجد الوحدة في سياســـتهم الخارجية ، ولا في مخططاتهم الدفاعية كما يجب أن يكون على الأقل ، ولا تجدها في أي مجال من المجالات الحيوية التي تجمع في عالمنا وعصرنا حتى الغرباء ، والأعداء القدماء .. هذا ونحن في مرحلة لم يعد بإمكاننا أن نعيش فيهـــا بـــلا وحدة ، وأن نواجه متفرقين مشكلات وجودنا وعالمنا وعصرنا .

وما يزال في بلادنا أيضاً التنكر للإسلام ، ومحاربته في ذاته ودعاته ، مباشرة أو غير مباشرة ، بشتى الأســـاليب .. والإسلام هذا سر وجودنا وصمودنا وبقائنا ، والإسلام هو طريقنا الوحيد إلى الوحدة والقوة والتقـــدم والخـــلاص والنصر .. ولا يبلغ أعداؤنا منّا بكل ما يملكون ، ما بلغناه -ونبلغه- من أنفسنا بالتنكر للإسلام العظيم .

❍ ❍ ❍

هذا بعض واقعنا المر .. واقعنا الذي صنع نكبة حزيران وما قبلها من النكبات ، والذي ما نزال نعيشه الآن .

واقعنا الشاخص أمامنا الذي تراه الأبصار ، وتلمسه الأيدي .

واقعنا الذي يخدعنا أو يضللنا عنه الحكام ، ومن يسير في ركب الحكام من المنتفعين والجبناء .

واقعنا الظاهر ، الذي لا يشير مع ذلك إلى حقيقته وبشاعته مشير صادق جادّ ، إلاّ عرّض نفسه للسجن أو الموت أو التشويه المادي والمعنوي .

هذا بعض الواقع ، وليس الواقع كله ، فما أشرنا إلاّ لبعض الخطوط العريضة والملامح .

أيها الإخوة

إننا نرفض هذا الواقع البشع الرهيب ، وننادي بتغييره تغييراً جذرياً على كل المستويات وفي كل المجـــالات ، وإلاّ فلن يكتب لنا نصر ولا حياة ، إلاّ بالآمال الكاذبات ، والأحلام الخادعات ، والكلمات المضللات .

من الجذور يجب أن يتغير هذا الواقع ، ومن الجذور يجب أن يكون العلاج ، لا من الظواهر والأعراض .

وإننا لندعو أبناء أمتنا جميعاً حكاماً ومحكومين ، إلى الإصغاء إلينا ، والاستماع إلى صوتنا ، والاستجابة إلى مـــا ندعو إليه من التغيير الجذري العميق .

ولن يكون التغيير الجذري العميق لهذا الواقع الفاسد ، النفسي والفكري والخلقـــي والاجتمـــاعي والاقتـــصادي والسياسي ، ولن يكون الوصول إلى الوضع الأمثل على كل المستويات ، وفي مختلف المجالات ، إلاّ بالإسلام العظـــيم كما أنزله الله عزَّ وجلَّ ، ففي الإسلام يوجد لنا الخلاص والنصر ، وفي الإسلام لنا خير الآخرة والدنيا على السواء .

وإذا كان التنكر للإسلام والخروج عنه بمقياس العقيدة كفر ، فهو في هذه المرحلة الخطيرة بمقياس الوطنية والقومية خيانة ، وبمقياس الوقائع والحقائق هزيمة وموت .

ألا فلنسلك كلنا إلى النصر والحياة والمستقبل الكريم ، طريق الإسلام العظيم ، فلا طريق سواه .

ولنتوكل على الله عزَّ وجلَّ ، فما النصر إلاّ من عند الله .

﴿ إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ فَلا غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرُكُمْ مِنْ بَعْدِهِ وَعَلَـــى اللَّـــهِ فَلْيَتَوَكَّـــلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ [أل عمران : ١٦٠]

ولنثق بنصره عزَّ وجلَّ إن نصرناه ..

﴿ ... إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴾ [محمد : ٧]

﴿ ... وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ۞ الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الأَرْضِ أَقَامُوا الـــصَّلاةَ وَآتَـــوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الأُمُورِ ﴾ [الحج : ٤٠-٤١]